مكتبة الإسكندرية

مسابقة كتابة مقالة حول رواية

"أن تقتل طائرًا بريئًا"

للكاتبة الأمريكية هاربر لي HARPER LEE

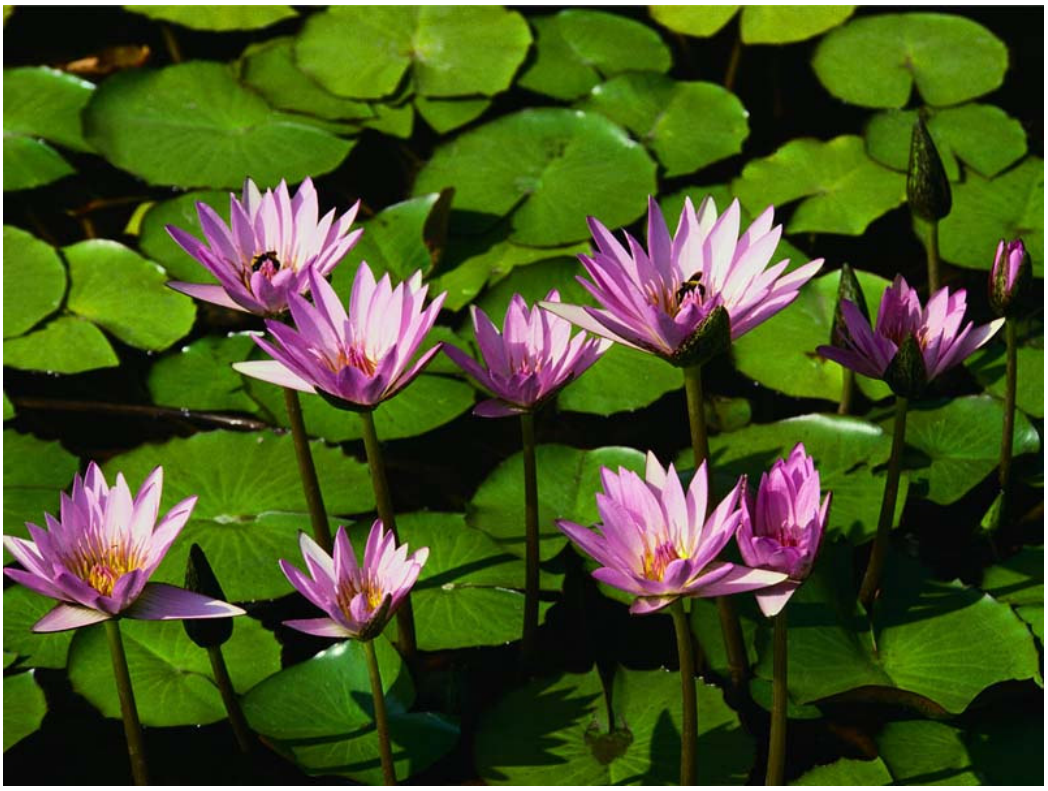

عنوان المقالة: مقارنة حول القيم التي تشتمل عليها رواية

TO KILL A MOCKINGBIRD

نشرت رواية "أن تقتل طائرًا بريئًا" فى عام ١٩٦٠م وبعد مرور ثمانية وأربعين عامًا لا تزال الرواية تجذب ملايين القراء عاما بعد عام، و لعل ذلك يرجع إلى ما تحويه الرواية من قيم تعلى من شأن كرامة الإنسان واحترام الآخر، و قد أظهر استطلاع للرأي أجراه نادي كتاب الشهر BOOK–OF–THE-MONTH CLUB ومركز الكتاب التابع لمكتبة الكونجرس الأمريكي LIBRARY OF CONGRESS CENTER FOR THE BOOK أن رواية "أن تقتل طائرًا بريئًا" تحتل المكانة الثانية بعد الكتاب المقدس، كما أصبحت تشكل جانبًا مهمًا من المقررات الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها مادة أساسي يدرسها طلاب المدارس والجامعات (د/ داليا الشيال).

بهذه الكلمات التي ذكرتها المترجمة لرواية "أن تقتل طائرًا بريئًا" د/ داليا الشيال أحببت أن أبدأ مقالي هذا تحت عنوان (مقارنة حول القيم التى تحويها الرواية) ، حيث إن هذه المقدمة تمثل محور المقال الذي أتناوله كما تمثل الإطار الذي يحيط بالمقال من بدايته وحتى نهايته.

لعل الشهرة التي نالتها رواية "أن تقتل طائرًا بريئًا" عند نشرها لأول مرة والتي نلمسها من بيع ما يزيد عن ثلاثين مليون نسخة منها منذ تاريخ نشرها لأول مرة، كما نلمسها من أنها تُرجمت إلى أكثر من لغة، وهذه الشهرة والتي تعكس تعطش المجتمع الأمريكى بل المجتمعات البشرية قاطبة إلى سيادة مجموعة القيم الإنسانية الراقية التي تعلي من شأن الإنسان واحترام الآخر، وهو ما تحويه الرواية بالفعل، وهو أيضًا ما كانت تهدف إليه كاتبة الرواية هاربر لي أثناء سردها لأحداث روايتها، وقد نجحت الكاتبة بالفعل في توصيل مضمون روايتها بما تحويه من قيم عليا إلى المجتمع الأمريكي، كما أنها نجحت أيضًا فى توصيل مضمون روايتها إلى المجتمع الإنساني المتعطش لمثل هذه القيم النبيلة، ولا شك.

إن الرسالة عندما تكون من قلب الكاتبة فإنها بلا شك تصل إلى قلوب القراء مباشرة، وهذا هو أحد الأسباب الأساسية وراء نجاح انتشار هذه الرواية، حيث إن الكاتبة كانت صادقة في سرد هذه القيم التي نبعت من أعماق قلبها فوجدت مكانتها في قلوب القراء، وفي هذا الشأن تقول مترجمة الرواية إلى العربية د/ دليا الشيال «وعلى الرغم من أننى كنت أطلع من خلال الرواية على ثقافة عصر مختلف فقد استقرت في ضميرى قيم إنسانية تصلح لكل زمان ومكان، فكما هو حال أطفال رواية هاربر لي كنت أشب عن الطوق وأتعلم حقائق تدعو إلى التحضر والتسامي الذي ينقل الإنسان إلى مستوى يتجاوز الزمان والمكان».

إن أول قيمة تحويها رواية "أن تقتل طائرًا بريئًا" هي البعد عن القتل لمجرد القتل حتى ولو كان القتل لطائر مغردً.

حيث يقدم ((أتيكوس)) لطفليه بندقيتين بمناسبة عيد الميلاد ويوافق أن يقـــوم العم ((جاك)) بتعليمهما التصويب، ويحذرهما قائلاً: بإمكانك اصطياد ما تريده من نوع البلوجاي هذا إن استطعت إصابتها، ولكن تذكر أنها خطيئة أن تقــتل طائرًا محاكيًا، إذ أن الطيور المحاكية لا تؤذي غيرها من المخلوقات بل إن تغريدها ينشر البهجة، وفى هذا السياق

يشير الكتاب المنزل من رب الإنسان من أجل تعليمه كرامة الإنسان والمحافظة على الحياة على الكوكب الأرضي حيث حياة الإنسان فيقول تعالى: «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قــتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون» (سورة المائدة الآية ٣٢ من القرآن الكريم) .

وفي هذا أشار نبي الإسلام إلى حرمة قتل الحيوان أو الطير لمجرد القتل لأن في هذا قتل للحياة على الأرض وإفساد فيها، والقتل لمجرد القتل هو من أكبر الآثام التي تغضب الرب ولهذا حرم القتل لمجرد القتل فــي جميع الكتب السماوية وفي جميع الأديان، لأن في ذلك إهــدار لحرمة الحياة على كوكب الأرض فما أعظمها قيمة وردت في الرواية وحاولت الكاتبة إبرازها.

القيمة الثانية التي جاءت في الرواية وحاولت الكاتبة سردها وإبرازها في سياق الرواية وجعلت التمسك بها في حد ذاته قيمة عليا، هذه القيمة التى وردت بمرافعة ((أتيكوس)) أثناء دفاعه عن توم روبنسون المتهم باغتصاب الفتاة ((ماييلا يووييل)) هي قيمة أن كل الناس خلقوا متساوين كما ورد فى مرافعة ((أتيكوس)) حيث ورد فيها قوله

«ولكـــــن هناك طريقة واحدة في هذا البلد يخلق فيها الناس جميعًا متساوين، هناك مؤسسة إنسانية واحدة تجعل الفقير يتساوى مع فرد من عائلة ((روكفلر)) والأحمق يتساوى مع شخص مثل أينشتــين والجاهـــــل يتساوى مع عميد كلية، هذه المؤسسة أيها السادة هي المحكمة» وأسرد قائلا:

«إن لمحاكمنا أخطاءها، كما لأية مؤسسة إنسانية ولكن في هذا البلد محاكمنا هي المساوى الأكبر بين البشر، وفي محاكمنا كل الناس خلقوا متساوين».

هذه هي القيمة التي جعلت ((أتيكوس)) يقبل بتحدي قضية الدفاع عن المتهم توم ربنسون وهو يعلم علم اليقين أن دفاعه عن هذه القيمة سيعرضه وأسرته للأذى والاستهجان من نوعية من البشر رسخت في نفوسها آفة التعالي والتمايز على نوع آخر من البشر ألا وهم الملونون، حقا إن قيمة المساواة بين الناس من أعظم القيم الإنسانية التي يجب أن يعيها أفراد المجتمع في تعاملهم مع الآخر من أجل أن يسود السلام والوئام بين البشر أيًا كانت انتماءاتهم وقد أرادت الكاتبة هاربر لي في روايتها أن تبرز وتوضح أن هذه القيمة نابعة من الفطرة الإنسانية السوية حين أوردتها على لسان الطفل جيم فى حديثه مع

الطفلة سكاوت حين قال لها: «إن كان هناك نوع واحد من الناس فلماذا لا يتفاهمون معًا؟ وإذا كانوا كلهم متشابهين، فلماذا ينحرفون عن المسار ليحقر الواحد منهم الآخر؟»

كما تناولت الكاتبة هاربر لي قيمة المساواة بمعنى العدالة حين أوردتها على لسان العمة ألكسندرا بقولها «إن عمل الخير ليس مقتصرًا على فئة دون غيرها، تلك المجموعة من الناس الذين يقولون إن المحاكمة العادلة يجب أن تكون من نصيب الجميع، وليس من نصيبنا نحن فحسب» بل ذهبت الكاتبة إلى أبعد من ذلك حينما أرادت أن تجعل هذه القيمة محلاً للتطبيق الفعلي فأوردت على لسان الطفلة (سكاوت) حين سألت المعلمة جيتس طلبة الفصل عن معنى كلمة ((ديمقراطية))، فأجابت سكاوت إنها «فرص متكافئة للجميع، لا مزايا لأحد دون الآخر».

وفي هذا السياق ورد في القرآن الكتاب المنزل من السماء من أجل هداية البشرية إلى القيم الإنسانية العليا قول الله تعالى:

«يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا».

الآية (١) من سورة النساء

وقوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» الآية (١٣) من سورة الحجرات

ولقد نبه نبي الإسلام إلى أن الناس جميعًا خلقوا سواسية كأسنان المشط ليس لعربي فضل على أعجمي ولا لأبيض فضل على أسود إلا بالتقوى، والتقوى هي الإيمان بالخالق ومخافته واتباع هديه وتعاليمه التي وردت على ألسنة أنبيائه جميعًا.

القيمة الثالثة والتي تناولتها هاربر لي في روايتها "أن تقتل طائرًا بريئًا" وذلك في أكثر من موضع هى قيمة «احترام الآخر» نلمسها أول ما نلمسها فى توجيه كالبورنيا (طباخة أسرة أتيكوس) للطفلة سكاوت حينما همست لها بعنف قائلة «هناك أشخاص لا يأكلون مثلما نأكل، ولكن ليس لك الحق في أن تنقديهم على مائدة الطعام، هذا الفتى ضيفــك ولو رغب فى أكل مفرش السفرة لوجب عليك تقديمه له». وفي هذا السياق يقول الله في كتابه القرآن الكريم: «يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم»

الآية١١ من سورة الحجرات

كما نلمس هذه القيمة في توجيه الأب أتيكوس للابنة سكاوت في قوله «أولاً، إذا تمكنت من تعلم حيلة بسيطة يا سكاوت فستتعايشين على نحو أفضل مع جميع أنواع البشـــر، ليس بإمكانك أن تفهمي شخصًا ما حتى تنظري للأمور بمنظوره».

كما أدركت الطفلة سكاوت هذه القيمة حينما قالت لأخيها جيم «ألم نفكر في أن الأسلوب المتحضر للتواصل مع الآخرين، يكون عبر الباب الأمامى لا النافذة الجانبية»، وفى هذا السياق ورد في القرآن قول الله تعالى: «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون» الآية ١٨٩ سورة البقرة.